مجلة التمكين الاجتماعي
المجلد 03 / العـدد 01 / مارس 2021 / ص ص 267 - 277
Journal home page: https://sej-lagh.com
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/644

جائحة كوفيد 19 وأزمة التعليم الرسمي في الجزائر

"دراسة للواقع واستشراف للمستقبل"

The Covid-19 pandemic and the public education crisis in Algeria

"A study of the reality and foreseeing the future"

خلفاوي عزيزة [1]، فدسي هدى [2]
aziza khalfaoui [1, 2] houda fedssi
[1] جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 (الجزائر)، khalfaoui@univ-constantine2.dz
[2] جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 (الجزائر)، houda.fedssi18@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/01/13 تاريخ القبول: 2021/03/16 تاريخ النشر: 2021/03/31

ملخص:
تسببت جائحة كوفيد 19 في انقطاع أكثر من 1.6 مليار تلميذ في أغلب بلدان العالم مما ينبئ بحدوث أزمة تعليم حقيقية عالمية. والجزائر واحدة من بلدان العالم التي مستها الجائحة وكانت آثارها كبيرة على مختلف الأصعدة خاصة الصعيد التربوي هدفت مداخلتنا هذه إلى البحث في مؤشرات الأزمة المستقبلية التعليم الرسمي في الجزائر من خلال تحليل الواقع الذي تميز باتخاذ تدابير غلق المدارس والتعليم عن بعد وآثاره المختلفة ثم فتح المدارس مع فرض إجراءات الوقاية وآثاره المختلفة، وقدمنا في الأخير توصيات لتجاوز الأزمة.
الكلمات المفتاحية: جائحة كوفيد 19، الأزمة المستقبلية، التعليم الرسمي، الواقع الجزائري، الآثار.

ABSTRACT:
The Covid-19 pandemic has caused the outage of more than 1.6 billion students in most countries of the world, which foretells a real global education crisis. Algeria is one of the countries in the world affected by the pandemic and its effects were significant on various levels, especially the educational level. intervention aimed to research indicators of the future crisis of formal education in Algeria by analyzing the reality that characterized by taking measures to close schools and distance education and its various effects and then open schools with Imposing prevention measures and its various effects, and in the end we made recommendations to overcome the crisis.
Key words: Covid 19 pandemic, future crisis, formal education, the Algerian reality, effects.

- المؤلف المرسل: عزيزة خلفاوي، khalfaoui@univ-constantine2.dz

1- مقدمة:

يشكل التعليم عاملا أساسيا في تحقيق خطة التنمية المستدامة في أفق العام 2030. وفي إطار هذه الخطة يبرز التعليم بصفته هدفا قائما بذاته وبغاياته السبع وأدوات تنفيذه الثلاث، ويعكس التعليم الجيد والشامل للجميع أهمية التعليم كأحد أكثر وأهم الوسائل قوة وتأثيرا لتحقيق جميع أهداف التنمية المستدامة؛ حيث يكفل هذا الهدف أن يكمل جميع البنات والبنين التعليم الابتدائي والثانوي المجاني بحلول العام 2030، كما يهدف إلى توفير فرص متساوية للحصول على التدريب المهني والتقني وأن تكون في متناول الجميع، والقضاء على الفوارق في إتاحة التعليم بسبب الجنس أو الوضع المادي، بالإضافة إلى تحقيق حصول الجميع على تعليم جيد وعالي الجودة (خليف، 2020، ص 9)

وبسب انتشار جائحة كوفيد19انقطع أكثر من 1.6 مليون طفل وشاب عن التعليم في أغلب بلدان العالم، ويشهد العالم حاليا أزمة تعليمية عالمية حقيقية، فالكثير من التلاميذ في المدارس لا يتلقون فيها المهارات الأساسية التي يحتاجون إليها في الحياة العملية وخصوصا في المراحل التعليمية الدنيا. إن ظهور مصطلح جديد "فقر التعلم" أصبح شبحا يهدد البشرية لما له من تبعات سيئة على حياة الشعوب، فإن لم تبادر المنظمات الدولية المعنية والحكومات ومؤسسات المجتمع المدني في العمل على معالجة ما حصل من تشوهات في العملية التعليمية وردم الفجوة التي حصلت على أثر جائحة كورونا، ستتراجع دول كثيرة في العالم فيما حققته من إنجازات في الأهداف المتعلقة بالتنمية المستدامة، وخصوصا الدول التي تعاني أساسا من صعوبة في تحقيق تقدم ملموس فيها (خليف، 2020، ص 10).

إن كورونا شكلت أزمة عالمية كبرى وإدارة الأمور في زمن الأزمات صعب جدا ويحتاج إلى تعاون الفرد صعودا لأعلى سلطة في البلاد، فكان هذا الوباء ضرورة للتعاون بين الأفراد وسلطاته، بل إن التزام الفرد في هذه الأزمة هو المعول عليه للحد من خطورتها، وإدارة الأزمة علم بحد ذاته مبني على مزيج من الأسس الأكاديمية والمهنية الناتجة عن عقود من التعلم والدروس المكتسبة من الأزمات والكوارث. كما أكدت المنظمة العالمية للصحة ومختلف الدول التي انتشر فيها هذا الوباء أن الحل الأمثل لمحاصرته والتقليل من حدة انتشاره هو الحجر المنزلي المتمثل في البقاء في المنزل وعدم الخروج إلا لقضاء الحاجات القصوى.

إن مختلف الإجراءات المتخذة في الجزائر لم تختلف عن غيرها من الدول، فقد يكون الاختلاف من حيث مبدأ الانطلاق من جهة أو من حيث نجاعتها وتقبل المجتمع والتزامه بها، وكذا مدى تعميم هذه الإجراءات على الجميع وخاصة أن الجزائر مرت بمرحلة تكاد تكون متذبذبة وغير مستقرة من الناحية السياسية في ظل زوال نظام سابق وبروز عهد جديد كان أول اختبار له هو أزمة جائحة كوفيد19.

بالرغم من الجهود المبذولة من قبل وزارة التربية لتطوير العملية التعليمية التعلمية في المدارس الجزائرية بمختلف أطوارها ومراحلها التعليمية في ظل وباء كورونا، فالأزمة لا مفر منها لأنها واقع حتمي فرضته الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم بأسره، ووسط التغيرات البيئية المتعددة والمتسارعة وفي كنف المخاطر والكوارث التي نصادفها بين الفينة والأخرى، هذا ما هدد مستقبل التعليم الرسمي في الجزائر وأضعف كيان المدرسة وسبب خلل في كيفية التعامل مع قيمها وممتلكاتها وسلامة تلاميذها، والقدرة على احتوائها.

بناء على ما سبق هدفت هذه الورقة البحثية إلى الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي: ما هي مؤشرات أزمة التعليم الرسمي في الجزائر في ظل جائحة كوفيد19؟

سنحاول الإجابة على هذا التساؤل من خلال تحليل المعطيات المتوفرة حول الموضوع.

تكمن أهمية البحث في:

- أهمية التعليم الرسمي في الجزائر وإسهامات الفاعلين التربويين في تحسينه وتطويره تماشيا مع أزمة كورونا.
- البحث يناقش قضية هامة في مجال إدارة المؤسسة التعليمية من خلال إدارة الأزمات، وتقديم حلولا للمشاكل الناتجة عن التقدم التكنولوجي والانفجار المعلوماتي والتطور المعرفي.
- إمكانية إسهام هذه الدراسة في التوصل إلى حلول كفيلة بمعالجة الأزمات التي تحيط بالوسط التربوي.

ونهدف من خلال هذا البحث إلى:

- الاستفادة من التجربة لغرض تقييمها وتدعيمها في المستقبل.
- التعرف على السياسة المنتهجة من قبل الوزارة المعنية بالتربية والتعليم، وكذا وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، في مواصلة الموسم الدراسي والجامعي في ظروف وباء كورونا.
- إلقاء الضوء على الكارثة أو الخطر الفجائي المتمثل في جائحة كورونا وتحليل التعليم الرسمي في خضمها.

2- تحديد مفاهيم الدراسة:

2-1- الأزمة التعليمية:

هي نتيجة نهائية لتراكم مجموعة من التأثيرات الخارجية المحيطة بالنظام التعليمي أو حدوث خلل مفاجئ يؤثر على المقومات الرئيسية للنظام التعليمي ويشكل تهديدا صريحا وواضحا لبقائه، أو إنها هي "وجود عائق أمام الطريقة المقبولة والمرغوب فيها في تحقيق الأهداف التربوية المرجوة ويحث الناس لتفتيت الأنماط الاجتماعية التربوية السائدة التي يقبلها المجتمع ويسلم بها"، أو إنها تعرف على إنها "موقف أو وضع مزعج يتعرض له التعليم يؤدي إلى إزعاج المجتمع إلى الحد الذي يحاول فيه أن يقوم بعمل شيء ما للتخلص من هذا الوضع وما يترتب عليه من أزمات". (منى، 2008، ص26.)

2-2- مرض كوفيد19:

كورونا فيروس هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي تصيب الانسان والحيوان، تسبب العديد من أنواع كورونا فيروس التهابات الجهاز التنفسي لدى الانسان. يسبب آخر كورونا فيروس تم اكتشافه بمرض كورونا فيروس كوفيد19. هذا الفيروس والمرض المصاحب له لم تكن معروفة قبل انتشاره في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول من العام 2019. (المعهد الديمقراطي الوطني، 2020، ص4)

2-3- النظام التربوي:

هو جملة من القواعد والتنظيمات والإجراءات التي تتبعها الدولة في تسيير شؤون التربية والتعليم، تهدف من ورائها المحافظة على قيم ومبادئ الأمة موجهة النظام التربوي وفق هذه السياسات التربوية، التي تعكس التوجهات العامة للمجتمع. النظام التربوي في أي بلد هو عبارة عن مجموعة من القواعد والتنظيمات والإجراءات التي تتبعها الدولة في تنظيم شؤون التربية والتعليم، وهذه النظم التربوية عامة هي انعكاس للفلسفة الفكرية والاجتماعية والسياسية السائدة. (عبد الله رشدان، نعيم جعنيني، 2006، ص 357)

2-4- التعليم عن بعد:

هو عندما يكون هناك مسافة مادية فاصلة بين المعلم والمتعلم ،وتستخدم تكنولوجيا من أجل ملأ الفجوة بين كل من الطرفين بما يحاكي الآصال الذي يحدث وجها لوجه، وتستطيع هذه النوعيات من البرامج أن تقدم فرصة للكبار في طريق التعليم الجامعي، كما يمكن أن تصل هذه البرامج لهؤلاء الذين حرموا من هذه الفرصة التعليمية بسبب ضيق الوقت أو بعد المسافة أو

الإعاقة البدنية، كما تساهم هذه البرامج في تحديث قواعد المعرفة للعمال في أماكن عملهم. (المعهد الديمقراطي الوطني، 2020، ص4)

3- ملمح حول فيروس كوفيد19:

لقد تغير حال العالم تماما عند ظهور فيروس كوفيد19، إذ كان ظهوره لأول مرة في منطقة أوهان بالصين، وما زاد تخوف السلطات الحكومية هو سرعة انتشاره التي تعدت الحدود ووصلت إلى كل رقعة جغرافية، في الوقت الذي كان النظام التعليمي عبر جميع مناطق الكون يسير بالطريقة المناسبة والتي تتماشى وخصوصية ذلك البلد وفلسفته التربوية التي يتبناها، هذا ما أثار قلق الفاعلين التربويين وكل الفرق البحثية المسئولة في مجالي التربية والتعليم عند إصدار الحكومات قرار إغلاق المدارس لفترة حتى يحد من انتشار الفيروس، وعمدت إلى إيجاد حل مؤقت لأجل غير مسمى لمواصلة التعليم وضمان سيره، عبر استخدام تقنية التعليم عن بعد أو التعليم الالكتروني لأن الولوج إلى المدارس والجامعات أصبح أمرا مستحيلا. فما هو فيروس كوفيد19؟

كوفيد 19 هو مرض تتسبب به سلالة جديدة من الفيروسات التاجية (كورونا) إذ يعد فيروسا جديدا يرتبط بعائلة الفيروسات نفسها التي ينتمي إليها الفيروس الذي يتسبب بمرض المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارز) وبعض أنواع الزكام العادي، وكما هي الحال مع الالتهابات التنفسية الأخرى من قبيل الأنفلونزا، والزكام، فإن إجراءات الصحة العامة حاسمة الأهمية لإبطاء انتشار المرض. إن إجراءات الصحة العامة هي أنشطة وقائية يومية تتضمن: (اليونيسيف، مارس 2020، ص3)

- بقاء الشخص في المنزل عند إصابته بمرض.
- احتواء السعال أو العطس بثني الكوع لتغطية الفم أو بمنديل ورقي ثم إلقاء المنديل فورا في سلة مهملات ذات غطاء.
- غسل اليدين بصفة متكررة بالماء والصابون.
- التنظيف المنتظم للأسطح والأشياء التي يكثر لمسها (اليونيسيف، 2020، ص 4)

ومن الخصائص العامة لفيروس كوفيد19 نجد:

- **خاصية الانتحاء**: للفيروس التاجي الجديد خاصية الانتحاء القوي نحو الجهاز التنفسي، أي الميل لإصابة الجهاز التنفسي، وعلى وجه الخصوص الخلايا غير المهدبة عند الإنسان، وهذا أمر فريد من نوعه لأن معظم الفيروسات التنفسية تستهدف الخلايا المهدبة، واتضح أن أيضا للفيروس القدرة على تفادي المناعة الطبيعية ومقاومة الأنترفيرون المنتج في تلك الخلايا.
- **تركيبه**: يظهر الفيروس تحت المجهر الإلكتروني بشكل كروي وبحجم 120_60 نانومتر، وله غلاف ونتوءات بروتينية بشكل عصيات تكسب الفيروس شكل التاج.ولهذا أطلق عليه اسم كورونا وهي كلمة لاتينية تعني التاج (إلهام، 2015، ص 45).

تعد المدارس من الأماكن المعرضة لانتقال المرض بشكل كبير،بين مرتاديها من معلمين وإداريين وطلاب، وبقية فئات المجتمع المدرسي عن طريق:

* **الانتقال المباشر**: من خلال الرذاذ المتطاير من المريض أثناء الكحة، أو العطاس، أو الكلام إذا كان الشخص يقف على مسافة أقل من متر ونصف من الشخص المصاب.
* **الانتقال غير المباشر**: لمس الأسطح، والأدوات الملوثة، أو مصافحة المصاب، ومن ثم لمس العين أو الأنف أو الفم (إلهام، 2015، ص 8).

4- تدابير المدرسة في الحد من انتشار الفيروس:

تعد المدارس من أهم المنشآت التعليمية والمدرسة بطبيعتها تضم عددا من الكوادر البشرية (طلاب وهيئة تعليمية وإدارية وموظفين)، الأمر الذي يحتم عليها اتخاذ التدابير الوقائية والاحترازية، ووضع إرشادات وأدلة تساعد على الحد من تفشي الأمراض الوبائية بشكل عام وفيروس كوفيد19 بشكل خاص.

وحرصا من وزارة التعليم على تهيئة بيئة تعليمية صحية في جميع المدارس أصدرت مجموعة من الأهداف وهي:

- ضمان العودة الآمنة لأفراد القطاع التعليمي وتوفير البيئة الصحية السليمة.
- الحد من انتشار فيروس كوفيد19 في المدارس.
- حماية الطلبة وبقية فئات المجتمع المدرسي. (التعليم، 1442هـ، ص 6)

تتمثل الأعراض الأكثر شيوعا لمرض كوفيد 19 في الحمى والإرهاق والسعال الجاف. وقد يعاني بعض المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف أو الرشح أو ألم الحلق أو الإسهال. وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة وتبدأ تدريجيا. ويصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض ودون أن يشعروا بالمرض. ويتعافى معظم الأشخاص نحو 80 بالمئة من المرض دون الحاجة إلى علاج خاص. وتشتد حدة المرض لدى شخص واحد تقريبا من كل 6 أشخاص.

5- مخاطر فيروس كوفيد 19 والعلاقات داخل المدرسة:

- **خطورة مرتفعة:** وهي فصول وأنشطة وفعاليات كاملة العدد، لا يمكن تطبيق التباعد الاجتماعي مسافة متر ونصف بين الطلاب في الفصول، أو في أي نشاط آخر، ضم أكثر من فصل، أو صف في الأنشطة الجماعية مثل المسابقات الرياضية الجماعية بين الصفوف، أنشطة يتم استخدام الأدوات فيها بين الطلبة.

- **خطورة متوسطة:** وهي: الفصول والأنشطة والفسح التي يتشارك فيها عدد قليل من الطلاب، يبقى الطالب مع نفس المجموعة ولا يتم الضم بين الفصول، يتم تطبيق التباعد الاجتماعي وإبقاء مسافة متر ونصف سواء في الفصول الدراسية أو في أي نشاط آخر، لا يتم استخدام الأدوات بين الطلاب مثل حصص التربية الفنية والمعامل.

- **خطورة منخفضة:** وتتمثل في التعلم عن بعد ،وأي نشاط يتم تطبيقه عن بعد (الأونروا، 2020، ص 11).

6- التعليم في حالة الأزمات الطوارئ:

يتجاوز عدد الأشخاص الذين يتأثرون بالنزاعات والأزمات في المنطقة العربية 47 مليون شخص، كما يوجد أكثر من 13مليون طفل وشاب لا يرتادون المدرسة، إلى ذلك يواجه النازحون في المنطقة ظروفا متدهورة.ولقد ركزت اليونسكو الإقليمية منذ العام 2015 على سد الثغرات التعليمية لدى الشباب وسجلت مكتسبات حقيقية تجلت على شكل زيادة في النفاذ إلى التعليم ما بعد الأساسي، وتوفير الدعم والمهارات النفسية _الاجتماعية، وفتح مسارات تعلم غير نظامية.

إن الرؤية واضحة وهي تقضي بمنح الأولوية للتعليم في الاستجابة الإنسانية، لأن التعليم يأتي بالأمل والاستقرار والأمن والحس بالمستقبل في وجه الكوارث والخسارة. والتعليم هو أيضا شرط مسبق لإعادة الاعمار والمصالحة. فالتعليم هو ما يطالب به الأطفال والشباب والأهل والمجتمعات في حالات النزاع والأزمات كافة. ومن خلال القمة الإنسانية العالمية 2016 وقمة الأمم المتحدة للاجئين والمهاجرين، ومع اعتماد إعلان نيويورك في العام ذاته. تجلت هذه الرسالة بوضوح، وفي هذا الإطار تبرز الحاجة إلى دعم تنموي لإكمال التدخلات الإنسانية، وإلى تأمين نفاذ متساو لكل الأشخاص النازحين بسبب الأزمات إلى تعليم جيد (وكالة الشؤون المدرسية، الأونروا، 2020، ص 8).

ومن بين العراقيل المشتركة أمام التعليم يمكن أن نذكر:

كلفة التعليم (المباشرة وغير المباشرة)، الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتدنية للعائلات، غياب تصاريح الإقامة، غياب الوثائق وعدم الاعتراف بالتعلم السابق، الاختلاف في لغة التعليم والمناهج، مخاوف لها صلة بالسلامة والحماية (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ص 3).

7- جائحة كوفيد 19ومؤشرات أزمة التعليم في العالم:

لقد أوجدت جائحة كوفيد 19 أكبر انقطاع في نظم التعليم في التاريخ، وهو ما تضرر منه نحو 1.6 مليون من طالبي العلم في أكثر من 190بلدا وفي جميع القارات. وأثرت عمليات إغلاق المدارس وغيرها من أماكن التعلم على 94 في المائة من الطلاب في العالم، وهي نسبة ترتفع لتصل إلى 99 في المائة في البلدان المنخفضة الدخل والبلدان المتوسطة الدخل من الشريحة الدنيا.

وتفاقم الأزمة الفوارق التعليمية القائمة أصلا عن طريق الحد من فرص الكثير من الأطفال والشباب والبالغين المنتمين إلى أشد الفئات ضعفا أولئك الذين يعيشون في مناطق فقيرة أو ريفية والفتيات واللاجئون والأشخاص ذوو الإعاقة والمشردون قسرا في مواصلة تعلمهم.

وثمة خوف من أن تمتد الخسائر في التعلم إلى ما يتجاوز هذا الجيل وتمحو عقودا من التقدم في مجالات ليس أقلها دعم فرص الفتيات والشابات في الالتحاق بالتعليم والبقاء فيه. وقد يتسرب من التعليم نحو 23.8 مليون طفل وشاب آخرين (من مرحلة ما قبل التعليم الابتدائي إلى التعليم العالي) أو قد لا يتمكنون من الالتحاق بالمدارس في العام المقبل بسبب التأثير الاقتصادي للجائحة وحده (الأمم المتحدة، 2020، ص 2).

وبالمثل كان للانقطاع في التعليم وسيظل له آثار كبيرة تتجاوز التعليم، ويؤدي إغلاق مؤسسات التعليم إلى عرقلة تقديم خدمات أساسية للأطفال والمجتمعات المحلية،بما في ذلك القدرة على الحصول على الغذاء المغذي ويؤثر على قدرة الكثير من أولياء الأمور على العمل، ويزيد من مخاطر العنف ضد النساء والفتيات. (الأمم المتحدة، ص 3)

وزيادة على ذلك، فأزمة التعليم قبل وقوع الجائحة موجودة فعلا، فهناك 258 مليون طفل وشاب في سن الدراسة بالمرحلتين الابتدائية والثانوية غير ملتحقين بالمدارس، وكانت نسبة كبيرة من الباقين في الدراسة تحصل قدر ضئيل من التعلم بسبب تدني جودة التعليم المدرسي، وكان معدل فقر التعلم في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل 53% مما يعني أن أكثر من نصف مجموع الأطفال الذين يبلغون 10سنوات لا يستطيعون قراءة قصة بسيطة تناسب العمر وفهمها. وأن الأزمة لم تكن موزعة بالتساوي، كما تهدد جائحة كوفيد 19 التقدم المحرز في مجال التعليم في جميع أنحاء العالم من خلال صدمتين رئيسيتين وهما: (مجموعة البنك الدولي، 2020، ص 4)

- الإغلاق شبه العالمي للمدارس على مستوى جميع المراحل.

- الركود الاقتصادي الناجم عن تدابير مكافحة الجائحة، وإن لم تبذل جهود كبيرة لمواجهة هذه الآثار فسوف تتسبب صدمة إغلاق المدارس في خسائر في التعلم، وزيادة معدلات التسرب، وازدياد عدم المساواة، وستؤدي الصدمة الاقتصادية إلى تفاقم الأضرار، من خلال خفض جانبي العرض والطلب في مجال التعليم، نظرا للضرر الذي يلحقه ذلك بالأسر المعيشية.

لقد أحدثت هذه الجائحة توترا كبيرا في العديد من الأنظمة التعليمية انطلاقا من التوقف المفاجئ عن الدراسة في ظل تفشي الفيروس بصورة سريعة وملتهبة وانقطاع التلاميذ عن الذهاب إلى المدرسة، وانزعاجهم أثناء بقائهم في المنزل، إضافة إلى قلق الأسر على مستقبل أبنائهم وضياع الموسم الدراسي، هذا ما شكل خطرا على مستقبل التعليم وتولد ضغط كبير على قطاع

التربية والتعليم وجعل الفاعلين والمساهمين التربويين يبحثون لإيجاد حلول كفيلة ويبدلون جهود مكثفة في سبيل استكمال السنة الدراسية بأي طريقة ممكنة.

8- مؤشرات أزمة التعليم الرسمي في الجزائر:

سنتطرق إلى شرح مظاهر أزمة التعليم الرسمي في الجزائر الناجمة عن جائحة كوفيد 19 من خلال محورين أساسين هما التعليم عن بعد وإعادة فتح المدارس.

8-1- التعليم عن بعد: حل للازمة أم تأزمي للوضع القائم؟

وفي ظل هذه الأزمة عمدت السلطات الحكومية إلى إيجاد حلول بديلة لإغلاق المدارس وهي الاستفادة من تكنولوجية التعليم والاعتماد عليها للحصول على الخدمات التعليمية من خلال التعليم الرقمي وبرامج التعليم عن بعد. الذي ظهر منذ سنوات خلت عرف بمصطلح الدراسة أو التكوين بالمراسلة والذي ينتهي بإجراء امتحان في الأخير يتوج صاحبه بالنجاح أو يكون مصيره الفشل.

إن التعليم عن بعد ما هو إلا تفاعلات تعليمية يكون فيها المعلم والمتعلم منفصلين عن بعضهما زمنيا أو مكانيا أو كلاهما معا، ولا شك أنه بعد فرض نفسه بقوة نتيجة جائحة كوفيد 19، تطلب هذا الانتقال مرونة كبيرة في التعامل مع المتعلمين، إضافة إلى الحاجة إلى فريق دعم فني يواكب المعلمين من خلال طرق تفكير إبداعية تساعدهم على تحقيق عملية التعليم وإنجاز أهداف مقرراتهم الرئيسية، وفي هذا الإطار لابد من التشديد على توافر عناصر عدة تدعم الانتقال المرن إلى التعليم عن بعد، من بينها:

- توافر اختصاصيين في صناعة المحتوى الرقمي والمواد التعليمية.
- تأمين اختصاصيين في مجال التدريب التقني والتربويين لتزويد المعلمين بكل ما يلزمهم من تقنيات وأدوات ومهارات لإدارة عملية التعلم عن بعد.
- تشكيل خلية طوارئ تربوية لمتابعة كل المشكلات التي تطرأ على العملية التعليمية، والعمل على إيجاد الحلول اللازمة.
- تقييم واقعي مستمر لعملية التعليم عن بعد، ووضع التصورات التي تحسن نواتج ومخرجات التعليم (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2020، ص 21)

وعلى الرغم من أنه يصعب تقييم عملية التعليم عن بعد الذي لم يكن خيارا بقدر ما كان مفروضا على الجامعة، وفي ظل غياب الإمكانيات المتعلقة سواء بالمنصات الجامعية والإمكانيات المحدودة التي يملكها الأساتذة الجامعيون جعل هذه الاستراتيجية تبقى تتراوح مكانها ولا تحقق أهدافها في ظل التضارب الذي يقع فيه القطاع.

بالرجوع إلى واقعنا المعاش نجد أن أزمة كورونا في الجزائر تبدو صادمة لعدم وجود كوادر وبرامج أكاديمية وتدريبية ملائمة وفعالة لإدارة المخاطر والطوارئ وصولا إلى إيجاد حلول للأزمات، وغير مهيأة تماما للتعامل مع التعلم الالكتروني وتوظيف تكنولوجياته المتطورة، وغياب مخطط مدروس يسرع العمل الأكاديمي في الجامعة والذي نقصد به هنا التعليم على المنصة "التعليم الافتراضي" الذي أضحى وسيلة التعلم البديلة في أزمة كوفيد 19. خاصة وأن أطراف العملية التعليمية، أي كل من الطلبة والأساتذة على حد السواء يعانون من مشكلة توفرهم على شبكة الانترنت لأنها تبقى في الغالب ضعيفة هذا من جهة، وإمكانية الطالب المحدودة من حيث الحصول على جهاز الكمبيوتر في البيت. فأغلبيتهم لا يمتلكون حاسوب ويترددون على قاعات الانترنت لإجراء البحوث والمذكرات في أيام الدراسة السابقة.

ومن بين مظاهر الأزمة الحقيقية التي صاحبت النظام التعليمي في وضعنا الحالي هي فكرة ترسيخ مبدأ عدم تكافؤ الفرص بين أبناء المجتمع الواحد في الوقت الذي يسعى التعليم إلى تحقيق غايات التربية من خلال المساواة وضمان عدالة تربوية للجميع رغم اختلاف أصلهم الاجتماعي، فأغلبية الطلبة يقفوا عاجزين عن مواكبة التعليم عن بعد ومتابعة الدروس عبر الفضاء الإلكتروني من حيث الإلمام بالمعرفة الخاصة بالثورة المعلوماتية وتوفرهم على شبكة الانترنت، من هنا نتساءل: لماذا تستمر منظومتنا التعليمية في الجزائر في إنتاج وإعادة إنتاج الأزمة بكل مظاهرها وتجلياتها من جهة، وإنتاج التراتبية من جهة أخرى إلى متى نبقى عاجزين عن مواكبة التطورات الحاصلة في ميدان التكنولوجيا والمعرفة، رغم وجود الأفراد أصحاب الكفاءة والمؤهلين أي رأسمال البشري، دون أن نهمل طبعا وأن البلاد تتوفر على خيرات وموارد طبيعية.

2-8- إعادة فتح المدارس تخفيف للازمة أم تعميق لها:

ومن التعليم عن بعد إلى إعادة فتح المدارس وخاصة وأن الجائحة ليست هناك دلائل على قرب انتهائها فقد بادرت العديد من البلدان عبر كافة أنحاء العالم إلى إعادة فتح المدارس مع إجراءات التدابير الوقائية للحد من انتشار الفيروس في المحيط المدرسي، والجزائر واحدة من بين هذه البلدان فقد اعتمدت على بروتوكول صحي يتمثل في اعتماد الدوام الجزئي بتقسيم التلاميذ في المرحلة الابتدائية والمتوسطة إلى أفواج مصغرة ما بين الفترة الصباحية والفترة المسائية مع تقليص الحجم الساعي للمادة التعليمية، إذ لا يتعدى الفوج الواحد 20 تلميذ، وتوفير النقل المدرسي، إضافة إلى ارتداد الكمامات واحترام مسافة التباعد البدني في الحجرة الصفية والفناء، والحرص على تعقيم اليدين والالتزام بالنظافة بشكل عام.

فعمليات اتخاذ القرار بخصوص إغلاق أو إعادة فتح المدارس ترتكز على:

- تأخذ بعين الاعتبار القطاعات الثلاث: التعليم، حماية الأطفال، الصحة.
- فتتمعن في المخاطر المحدقة بالأطفال والشباب داخل المدرسة أو خارجها.
- وتعطي الأولوية للمصلحة الفضلى للطفل. (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2020، ص 4)

بيد أن الهدف لأساسي من إعادة فتح المدارس لا يقتصر في مواصلة التعليم بحد ذاته، فأبعاده كثيرة وعلى مستويات مختلفة فأغلبية التلاميذ يدخلون في حالة نفسية سيئة نتيجة المكوث في البيت ويميلون للعزلة الاجتماعية وحتى بلوغ الانحرافات نتيجة فقدان التواصل مع رفاقهم، فالعلاقات الاجتماعية من شأنها أن تولد الطاقة الإيجابية لدى التلميذ وتحث روحه على التفكير والتطور، وخاصة وأنه لا يوجد تعليم مثيل للمدرسة في البيت رغم توفر الوسائل التعليمية (كتب،حاسوب، انترنت).

إضافة إلى ذلك أغلبية التلاميذ محرومون فهم ينحدرون من عائلات معوزة أو ضعيفة الدخل ويستفيدون من المنح الدراسية وكذا التغذية المدرسية والتي تمثل حافز قوي لبعث الأسر أبنائهم للمدرسة، فالوجبة المقدمة من شأنها أن تسد جوعه وتحسن من صحته، دون أن ننسى عدم تكافؤ الفرص التعليمية أي اللامساواة وخاصة عند التلاميذ الذين ينتمون إلى بيئات فقيرة ومحرومة، فالاستفادة من التكنولوجيا المتبعة في ظل جائحة كوفيد 19 سيكون شبه منعدم مقارنة مع أقرانهم ذوي الأسر الميسورة، وسيعيشون حالة اغتراب كما وصفها إيميل دوركايم. كما أن إعادة فتح المدارس بالنظام المعمول به حاليا لا ننتظر منه نتائج مرضية، فالتلاميذ سيقضون أوقات الفراغ الكثيرة في اللعب أو إتباع السلوكيات المنحرفة (تدخين، مخدرات، جنس) وبعضهم سوف يرسب أو يتسرب بصورة غير مباشرة وخاصة وأن المادة التعليمية لم تعد مقدمة بالطريقة المتبعة من قبل (الشرح والتفسير) فالأسرة هي بديلة المعلم في خضم هذه الأزمة الصحية كوفيد 19 وهي المسئولة عن نجاح أو فشل أبنائها. ومن

هنا يمكن القول بأن نظامنا التعليمي بات يجسد في تبني المقاربة بالكفاءات والتي تفيد بأن التلميذ محور العملية التعليمية وأن المعلم مجرد ناقل للمعلومة.

9- توصيات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة لتفادي أزمة التعليم في ظل جائحة كوفيد19:

تشتد حصافة الرسائل التي يتضمنها التقرير العالمي لرصد التعليم لعام 2020 بشأن التعليم الشامل بفعل ضرورة التصدي لهذه التحديات. فهي تحذر من أن فرص التعليم لا تزال موزعة على نحو غير متكافئ، وأن أعدادا فائقة من المتعلمين ما زالوا يواجهون حواجز كبيرة جدا تحول دون انتفاعهم بالتعليم الجيد. وحتى قبل انتشار جائحة كوفيد 19، كان واحد من خمسة أطفال ومراهقين وشباب مستبعدا تماما من التعليم، وكان يسفر الوصم والأفكار النمطية والتمييز عن شعور ملايين الطلاب الآخرين بالاغتراب داخل الفصول الدراسية. كما ستعزز الأزمة الراهنة تكريس مختلف صنوف الاستبعاد هذه، إذ تأثر أكثر من 90 بالمئة من الطلاب بإغلاق المدارس من جراء انتشار فيروس كورونا، فإن العالم يعاني من حالة اضطراب لم يسبق لها مثيل في تاريخ التعليم. وقد عرضت الفجوات الاجتماعية والرقمية أكثر الفئات حرمانا لخطر النقص على صعيد التعلم والتسرب من المدارس، وأظهرت الدروس المستفادة من التجارب الماضية أن الأزمات الصحية يمكن أن تسفر عن ترك الكثيرين خلف الركب، ولا سيما الفتيات الأشد فقرا اللواتي قد لا تعود العديدات منهن إلى المدرسة أبدا.

وتأتي التوصية الرئيسية في منشدة كل الجهات الفاعلة في مجال التعليم توسيع نطاق فهمها للتعليم الشامل، بحيث يشمل جميع المتعلمين بغض النظر عن هويتهم أو خلفيتهم أو قدرتهم. في الوقت المناسب والعالم يسعى إلى إعادة بناء نظم تعليم أكثر شمولا. (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2020، ص 7)

الجميع بلا استثناء: تنوع المتعلمين هو قوة تستحق الاحتفال بها من حيث:

- ينبغي أن يشمل التعليم جميع المتعلمين بغض النظر عن الهوية أو الخلفية أو القدرة.
- ليس هناك من تعليم شامل حين يحرم ملايين الأشخاص من إمكانية الحصول على التعليم.
- تبادل الخبرات والموارد فالتعليم لا يمكن أن تفرضه الجهات العليا.
- التعليم الشامل ليس سوى مجموعة فرعية من الإدماج الاجتماعي.
- ضمان أن تحقق نظم التعليم الشامل إمكانات كل متعلم.
- ينبغي أن يكون جميع المعلمين على استعداد لتدريس جميع الطلاب.
- جمع البيانات بشأن الشمول ولصالحه بعناية واهتمام.
- إتاحة المجال للجهات غير الحكومية لمواجهة الثغرات وسدها والتعلم من الزملاء. (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2020، ص 24)

10- الخاتمة:

من المؤكد أن أزمة كوفيد 19 التي واجهت النظام التعليمي أجبرته على تبني تقنية التعليم عن بعد أو الولوج إلى العالم الافتراضي عن طريق التعليم الالكتروني، فقد أضحى خيارا لا بديل له سوى فتح إعادة فتح المدارس والقيام باتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة للحد من انتشار الفيروس، سيواجه كلا من المعلم والمتعلم تحديات كبيرة لمواكبة هذا التحول المفاجئ الذي طرأ على العملية التعليمية، إلا أنه ربما بالاعتماد على التخطيط الاستراتيجي والفعال يمكننا التغلب على الكثير من العقبات وسد العديد من الثغرات رغم الجهود المتواضعة المبذولة.

وسيبقى التساؤل مطروح إلى متى ستبقى منظومتنا التعليمية تعيش مفارقات بوجود أزمة أو انعدامها، ربما الإجابة ستكون واضحة للعيان وغير مصرح بها من قبل الجهات المسئولة لأن التعليم سيبقى دوما يكرس اللامساواة المدرسية وعدم تكافؤ الفرص التعليمية بين جميع الأفراد داخل المجتمع على أبعد الحدود لأن التعليم التقليدي أو التعليم عن بعد كلاهما يساهمان في تقوية التفاوت الطبقي بين التلاميذ، فأبناء الطبقة الغنية يتوفرون على الأجهزة المطلوبة وباستطاعتهم حتى الاستفادة من دروس خصوصية داخل منازلهم أثناء الحجر الصحي، وهذا ما يحرم منه أبناء الطبقة الفقيرة الذين لا يجدون أمامهم سوى المدارس الحكومية لكسب التعلم، دون أن ننسى التلاميذ ذوو صعوبات التعلم (النظر ، السمع ...) فسيتعذر حصولهم على المعلومة أو حتى الوصول إليها من خلال التعليم عن بعد.

ويبقى المستقبل هو الفاصل في هذه التجربة التعليمية هل سيتم إتباعها باستمرار وإعادة النظر في سابقتها، أم ستبقى على النحو السابق دون تجديد أو تغيير. وهل سيحتل التعليم الالكتروني مكانة مناسبة في ظل هذه الأزمة ويحقق نجاحات رغم نقص الإمكانيات التي باتت تشكل عائقا كبيرا من حيث جودة خدمات الانترنت وسيولتها، أم سيعيد التاريخ تجسيد نظام التعليم التقليدي لإمكانية استفادة أغلب الطلاب منه رغم الفروق الفردية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي. وفي الأخير نوصي بما يلي:

- يجب تقييم العملية التعليمية الجديدة اعتمادا على آراء المختصين التربويين والاجتماعيين لتحديد الإيجابيات والسلبيات لكي تكون خطوة فعالة قابلة للتجديد والتحديث المستمرين و تقنيات التعليم المتبعة أثناء الجائحة ولها أيضا ملامح مرتبطة والفلسفة التعليمية التقليدية.

- يجب وضع استراتيجية واضحة المعالم، تضمن سيرورة العملية الاتصالية بنجاعة وبطريقة مرنة بين الفاعلين التربويين والفرق التعليمية (طلبة، أساتذة، إداريين، بيداغوجيين ...).

- العمل على تحسين جودة خدمات شبكة الأنثرنت في مختلف مناطق البلاد وتسريع تدفقها سواء على الهاتف المحمول أو أجهزة الكمبيوتر.

- عقد اجتماعات وندوات وطنية بإشراك جميع الفاعلين من طلبة وأساتذة وإداريين وتقنيين في سبيل تقييم مدى نجاح التعليم عن بعد في ظل الجائحة، إذ يتعين عليها متابعة وتقييم التعليم باستمرار دائم.

11- قائمة المراجع:

الأمم المتحدة. (أغسطس 2020). موجز ساساتي، التعليم أثناء جائحة كوفيد 19 وما بعدها.

الأونروا. (مارس 2020). فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19)، دليل توعوي صحي شامل. منظمة الصحة العالمية.

سلطان خليف. (أغسطس 2020). أهمية التعليم لتحقيق الأهداف الأممية 2030 والتصدي لجائحة كورونا لتخفيف الآثار الناجمة منها. نشرية الألكسو العلمية.

عبد الله رشدان، نعيم جعنيني. (2006). المدخل إلى التربية والتعليم. عمان. دار الشروق.

عثامنة إلهام وآخرون. (2015). دراسة وصفية تصنيفية تحسيسية لكل من فيروسي إيبولا وكورونا. مذكرة تخرج لنيل شهادة أستاذ التعليم المتوسط.

لشبكة المشتركة لوكالات التعليم في حالات الطوارئ. بحث في السياسات العامة. (2020م). قياس المخاطر المحتملة، إغلاق وإعادة فتح المدارس خلال جائحة كوفيد 19، متى ولما وما هي التأثيرات المتوقعة؟

مجموعة البنك الدولي. (مايو 2020). جائحة كورونا، صدمات التعليم والاستجابة على صعيد السياسات، ملخص تنفيذي.

المعهد الديمقراطي الوطني. (أبريل 2020). خطة التعامل مع الأزمة، دليل عملي للسياسيين للتعامل مع جائحة فايروس كورونا المستجد كوفيد 19.

منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة. (2020م). التعليم عن بعد، مفهومه، أدواته واستراتيجياته. دليل لصانعي السياسات في التعليم أكاديمي والمهني. مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية.

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. (2020). التعليم الشامل للجميع، الجميع بلا استثناء . ملخص التقرير العالمي لرصد التعليم.

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. (2020). التعليم الشامل للجميع، الجميع بلا استثناء. ملخص التقرير العالمي لرصد التعليم.
منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة. إطار العمل الاستراتيجي لليونسكو للتعليم في حالات الطوارئ في المنظمة العربية 2018 - 2021. جدول الأعمال العالمي للتعليم حتى عام 2030.
منى عبد المنعم محمد أحمد. (2008). إدارة الأزمة في التعليم الجامعي بالولايات المتحدة الأمريكية وإمكانية الإفادة منها في مصر. رسالة لنيل درجة الماجستير في التربية. جامعة الزقازيق. مصر.
وزرا التعليم. (1442هـ). الدليل الإرشادي الوقائي للعودة إلى المدارس في ظل جائحة كورونا، نعود بحدر. وكالة الشؤون المدرسية.
اليونيسيف. (مارس 2020). رسائل وأنشطة رئيسية للقاية من مرض كوفيد 19 والسيطرة عليه في المدارس.